

منبر المحراب

الشخصية الجهادية للإمام السجاد (ع)

السنة الخامسة عشرة
العدد ٨١٧ / ٢٣ / محرم / ١٤٣٠ هـ
الموافق ٢٠٠٩ / كانون الثاني / ٢٠ م

محاور الموضوع الرئيسية:

- حياة الإمام زين العابدين في سطور (ولادته - - علمه).
- منهج الإمام السجاد (ع) في المواجهة العلمية
- الجهاد وأسلوب المواجهة عند الإمام السجاد.
- فضح جرائم الحكام الظالمين ولا سيما يزيد

الهدف: التعرف على جوانب من الشخصية الجهادية للإمام السجاد.

تصدير الموضوع:

«في خطبته في الشام في مجلس يزيد: «أيها الناس... من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن زمزم والصفاء، أنا ابن من حمل الركن بأطراف الرداء، أنا ابن خير من اتزر وارتنى، أنا ابن خير من اتعل واحتمى، أنا ابن خير من طاف وسعى، أنا ابن خير من حج ولبي، أنا ابن من حمل على البراق في الهواء، أنا ابن من أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، أنا ابن من بلغ به جبريل إلى سدة الممنهى، أنا ابن من دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلى بملأ لثة السماء، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن علي المرتضى...»

١- الإمام السجاد في سطور: هو الإمام عليّ

بن الحسين (ع) رابع أئمة أهل البيت (ع) وجده الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وجدته فاطمة الزهراء بنت رسول الله وبعته، وأبوه الإمام الحسين (ع) أحد سيدي شباب أهل الجنة، وهو أحد الأئمة الاثني عشر (ع). وقد ولد الإمام علي بن الحسين (ع) في سنة ثمان وثلاثين للهجرة، وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتين، وعاش سبعة وخمسين سنة تقريباً، قضى ما يقارب سنتين أو أربعاً منها في كنف جده الإمام علي (ع)، ثم ترعرع في مدرسة عمه الحسن وأبيه الحسين (ع).

٢- مكانة الإمام السجاد (ع) العلمية:

كان (ع) يشجع كل من يأتي إليه طالباً لعلوم آل محمد، ويقول له: «مرحباً بوجه رسول الله ثم يقول: إن طالب العلم إذا خرج من منزله لم يضع رجليه على رطب ولا يابس من الأرض إلا سحبت له إلى

الأرضين السابعة» (بحار الأنوار، ج ٦، ٦٤). «وكان لعلي بن الحسين (ع) جلالة عجيبة وحق له والله ذلك، فقد كان أهلاً للإمامة العظمى لشرفه وسؤدده وعلمه وتآله وكمال عقله» (شمس الدين الذهبي / سيرة أعلام النبلاء: ج ٤، ص ٨٩٢). ويتفق المؤرخون على أن الإمام (ع) «انكب على الشؤون الدينية، ورواية الحديث، والتعليم، وأنه انصرف إلى بث العلوم، وتعليم الناس، وتربية المخلصين، وتخريج العلماء والفقهاء، والإشراف على بناء الكتلة الشيعية» (محمد رضا الحكيمي الجلاي، ص ٩٧، نقلًا عن معتزلة اليم من ص ٧١ - ٨١)، ولكنه لم يكن بعيداً عن العمل السياسي وإدارة شؤون المجتمع وفق ما تسمح به الظروف المحيطة آنذاك.

٣- منهج الإمام السجاد (ع) في المواجهة: تمثل منهج مواجهة الإمام السجاد (ع) للانحراف الديني الذي منيت به الأمة بالعناصر التالية:

أ- تصحيح منهج فهم الدين: فكان (ع) شديد النكير على تلك البوادر المضلّة، فحارب (ع) العمل بالقياس صراحة، حيث قال (ع): «ومن كان يعمل بالقياس والرأي هلك، ومن وجد في نفسه - مما نقوله أو نقضي به - حرجاً كفر بالذي أنزل السبع المثاني والقرآن العظيم، وهو لا يعلم» (كمال الدين، ص ٤٢٢). وقال (ع): «إن دين الله لا يصاب بالعقول الناقصة، والآراء الباطلة، والمقاييس الفاسدة، لا يُصاب إلا بالتسليم فمن سلّم لنا سلّم، ومن اقتدى بنا هُدي...» (كمال الدين، ص ٤٢٣).

ب- نشر معالم فقه أهل البيت (ع): وقد تمكّن الإمام زين العابدين من توضيح معالم فقه أهل البيت (ع) وإغناء معارفه، حتى أقر كبار العلماء بأنّه الأفق من الجميع، قال أبو حازم: «ما رأيت هاشمياً أفضل من علي بن الحسين (ع) وما رأيت أحداً كان أفقه منه» (سير أعلام النبلاء، ٤٩٣٠، ٤٩٣١). وقال الشافعي: «إن علي بن الحسين أفقه أهل البيت» (المصدر نفسه، وصفوة الصفوة، ٩٩: ٢).

ج- مرجعية القرآن والسنة: لقد أبدى الإمام حرصه الشديد على تعظيم القرآن وتخليده في أعماق النفوس، فقال (ع): «آيات القرآن خزانة العلم، فكلماً فتحت خزانة ينبغي لك أن تنظر ما فيها». (أصول الكافي، ج ٢، ص ٩٠٦).

«وعاش الإمام (ع) فترة المنع الحكومي لرواية الحديث وتدوينه، ولقد قاوم أئمة أهل البيت (ع) وأتباعهم هذه السياسة ضد أهم مصادر التشريع الإسلامي، ولهذا نجد أن الإمام السجاد

(ع) قد أكثر من نقل الحديث، كما يقول ابن سعد إنه كان ثقة مأموناً كثير الحديث عالياً رهيماً ورعاً» (تهذيب التهذيب ٧: ٥٠٣). وكان يندد بمن يستهزئ بحديث رسول الله ويقول (ع): «ما ندري، كيف نصنع بالناس! إن حدثناهم بما سمعنا من رسول الله ضحكوا، وإن سكتنا لم يسعنا، ثم نرد بمن هزىء من حديث رسول الله» (أصول الكافي، ج ٢، ص ٤٢٢).

د- بيان الجانب الحقوقي لتنظيم الحياة الاجتماعية وفق المعايير الصحيحة:

لقد تضمنت رسالة الحقوق للإمام (ع) بياناً لأصول الحقوق والواجبات التي قننها الإسلام للإنسان المسلم، وتهدف إلى إيجاد التوازن التربوي والاجتماعي والسياسي في المجتمع، وتقتنن العلاقات التي تنظم علاقات الناس وتحفظ حقوقهم، بعيداً عن السياسة والاجتهادات التي لا تستند إلى منهج سليم ينظر أئمة أهل البيت (ع)، ويمكن تصنيف هذه الحقوق إلى ثلاثة أقسام:

الأول: الحقوق التي تنظم العلاقة مع الله وأولي الامر.

الثاني: الحقوق التي تساهم في تربية النفس وتهذيب السلوك.

الثالث: الحقوق التي تنظم العلاقة في المجتمع، (راجع النصوص التفصيلية في رسالة الحقوق للإمام السجاد (ع)).

- الجهاد وأسلوب المواجهة عند الإمام السجاد: لقد استطاع الإمام زين العابدين (ع) أن يجمع بين الشؤون الروحية والمنطلقات السياسية، جمعاً لا يخامر التعسف ولا يشوبه الرب، فهو العابد المتهجد، الزاهد، الخاشع، الأب، وهو المربي المقاوم للظلم والاستبداد، والسند القوي للمستضعفين، فلا فصل بين العبادة والسياسة والجهاد في الإسلام، بهما وحدة متكاملة بمنزلة الروح من الجسد... وهذا ما برز في العديد من أدعيته التي تبلور الدعوة إلى الجهاد، تقتصر منها على ثلاثة نماذج:

الأول: قوله (ع): «... واجعلني ممن تنصير به لدينك وتقتل به عدوك في الصف الذي وصفت به اهله في كتابك: «كانهم بنيان مرصوص» في أحب خلقك إليك في أحب المواطن إليك، وارزقتي سفك دماء المشركين والناكثين والقاسطين والمارقين والفاسقين والنايذين والمبدلين. وثبت رجاءك في قلبي وثبت قدمي...».

الثاني: قوله (ع): «... وأعني اللهم على جهاد عدوك في سبيلك مع وليك، كما قلت جل قولك:»



إليه يصعد الكلم الطيب

جملة ما ركز عليه الإمام في خطبته :

أ- بين الإمام عليه السلام خطه السياسي الذي ينتهي إلى سيد المرسلين محمد وأهل بيته المعصومين عليهم السلام، وأسهب في بيان صفاتهم التي هي المثل الأعلى في اليقين والإستقامة والجهاد.

ب- أشهر الإمام عليه السلام ظلامة السبط الشهيد، وحملها راية حمراء تدعو الضمائر الحرة إلى الجهاد من أجل الله وفي سبيل نصرة المظلومين إثارةً للعوالم وتوبيخاً لكوا من الحزن والأسى.

ج- وبعد أن أمر يزيد بأن يقطع عليه المؤذن حديثه لم يترك الإمام عليه السلام المنبر كما كان معهوداً، وإنما استوقفه عند الشهادة الثانية وحمل يزيد مسؤولية قتل والده، مما يعني - في لغة العصر - وضع النقاط على الحروف. وهكذا استطاع الإمام السجاد عليه السلام عبر هذا المنهاج الرائع أن يزلزل عرش يزيد زلزالاً حتى تتصل من جريمته النكراء، وتوجه إلى الجماهير الغاضبة التي كادت تبتلع قاتلاً : أيها الناس، أظنون أنني قتلت الحسين، فلن الله من قتل عبيد الله بن زياد عاملي بالبصرة (يهاه الدين محمد العاملي، الكشكول ٢ / ٥٠١).

ومن جملة ما قاله الإمام عليه السلام : «... أيها الناس، أعطينا سناً وفُضِّلنا بسبع : أعطينا العلم، والحلم، والسماحة، والفساحة، والشجاعة، والمحبة في قلوب المؤمنين، وفُضِّلنا بأن منَّا النبي المختار محمدًا، ومنَّا الصديق، ومنَّا الطيار، ومنَّا أسد الله وأسد رسوله، ومنَّا سبطا هذه الأمة... أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا : لا إله إلا الله، أنا ابن من ضرب بين يدي رسول الله بسيفين، وطعن برمحين، وهاجر الهجرتين، وباع البيعتين وقال بيد رحنين، ولم يكفر بالله طرفة عين، أنا ابن صالح المؤمنين، ووارث النبيين، وقام الملقدين، ويسوب المسلمين، ونور المجاهدين وزين العابدين، وتاج البكائين... سمح، سخي، بهي، بهول، زكي، أبليج، رضي، مقدام، همام، صابر، صوام... مكى مدني خفي عني بدري أحدي شجري مهاجري... وأبو السبطين : الحسن والحسين، ذاك جدي علي بن أبي طالب، ثم قال : أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن سيدة النساء... فلم يزل يقول : أنا أنا، حتى ضج الناس بالبكاء والتحيب، وخشي يزيد (لعمنة الله) أن يكون فتنة، فأمر المؤذن فقطع عليه الكلام. فلما قال المؤذن : الله أكبر قال علي : لا شيء أكبر من الله، فلما قال : أشهد أن لا إله إلا الله، قال علي بن الحسين : شهد بها شعري وبشري ولحي ودمي، فلما قال المؤذن : أشهد أن محمداً رسول الله، التفت من فوق المنبر إلى يزيد فقال : محمد هذا جدي أم جدك يا يزيد؟ فإن زعمت أنه جدك فقد كذبت وكفرت، وإن زعمت أنه جدي فلم تلت عترته...» (بحار الأنوار: ج ٥، ص ٧٢١)

الدعاء من جهة و بين السياسة من جهة ثانية.

قال الامام زين العابدين عليه السلام : «اللهم ان الظلمة جحدوا آياتك، وكفروا بكتابتك، وكذبوا رسلك، واستكفوا عن عبادتك، ورغبوا عن ملة خليلك، وبدلوا ما جاء به رسولك، وشرعوا غير دينك، واقتدوا بغير هدايتك، واستنوا بغير سننك، وتعدوا حدودك... وشاقوا ولاة أمرك، ووالوا أعداءك، وعادوا أوليائك....

اللهم افتت اعضادهم، واقهر جبابرتهم، واجعل الدائرة عليهم، واقضض بنيانهم، وخالف بين كلمتهم، وفرق جمعهم، وشنت امرهم، واجعل بأسهم بينهم، وابعت عليهم عذاباً من فوقهم ومن تحت أرجلهم، واسفك بايدي المؤمنين دماءهم، وأورث المؤمنين ارضهم وديارهم وأموالهم. اللهم ضلل أعمالهم، واقطع رجاءهم، وادحض حجتهم، واستدرجهم من حيث لا يعلمون، وانتهم بالعذاب من حيث لا يشعرون... اللهم انهم اضاعوا الصلوات، واتبعوا الشهوات.

اللهم ادفع عن وليك، وابن نبيك، وخليفتك، وحجتك على خلقك، والشاهد على عبادك، المجاهد المجتهد في طاعتك... ومن هذا الدعاء «اللهم اشعب به صدعنا، وارثق به فتقنا، والمم به شعنا، وكثر به قتلنا، واعزز به ذلتنا، واقض به عن مغرنا واجبر به فقرنا... واقتل به جبابرة الكفر، واقصم رؤوس الضلالة...» (الصحيفة الخامسة السجادية / ٥٠٤).

فيتصدى هذا الدعاء لفضح الهوية السياسية والعقائدية للظالمين، والكشف عن اساليبهم ومخططاتهم في المجتمع والدولة، ويقصد بهم الجهاز الحاكم آنذاك. والملاحظ أن الإمام زين العابدين عليه السلام قد وصف الجماعة الحاكمة بالكفر: «وكفروا بكتابتك» وهل يمكن أن يوصف بالكفر من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟ والجواب أننا اذا عرفنا رؤية زين العابدين عليه السلام لمعاصريه من الحكام لا نستغرب إطلاقه الكفر عليهم أخذاً بقوله تعالى: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) (المائدة / ٤٤).

٦- فضح جرائم الحكام الظالمين ولا سيما يزيد: منذ الأيام الأولى التي تلت لمحة كربلاء عملت كلمات آل البيت عليهم السلام وفي طليعهم الإمام السجاد والصديقة زينب الكبرى عليهما السلام على هدم جدار الصمت والتردد والخوف، في الكوفة، وفي الشام، ثم في المدينة المنورة، ومن أشهر خطب الإمام السجاد عليه السلام تلك الخطبة التي أوردتها في مسجد الشام في مجلس الطاغية يزيد وأمام جلاوزته، والتي تحتوي على منهاج كامل في مواجهة الحكام الظالمين، وفضح مؤامراتهم، وبيان منزلة أهل البيت وأحقيتهم بالخلافة وقيادة الأمة. ومن

ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله» وقلت جلت اسمائك: «ولنبيلونكم حتى تعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم». اللهم فأرني ذلك السبيل حتى اقاتل فيه بنفسي ومالي طلب رضاك فاكون من الفائزين. الصحيفة السجادية

الثالث: رفض قيادة الظالمين للأمة: لقد كثرت القيادات التابعة للسلطة الحاكمة في عصر الإمام السجاد، وتنوعت ميولها تبعاً للسلاسة والخلفاء، واستطاعت بفضل السلطة والمال والقمع والظلم من فرض هيمنتها على الأمة. أمام هذا الواقع وفي خضم هذه الاجواء السياسية والعسكرية المتناقضة لا بد لمثل الامام زين العابدين عليه السلام من ان يبصر بالحقيقة ويدل على سواء السبيل لأن قضية تعيين القيادة لا يمكن ان يترك سدى، او يسكت عن اعطاء وجهة النظر الشرعية حولها. ولهذا حرص الإمام السجاد على توجيه الأمة نحو قيادتها الإلهية المتمثلة بالنبي وأهل بيته عليهم السلام، وقد برز ذلك بوضوح في العديد من منها:

ولنتظر الآن من خلال ادعيته عليه السلام الى من كان يشير بالقيادة من بين الامة الاسلامية:

المثال الاول: «رب صل على اطايب اهل بيته الذين اخترتهم لأمرك، وجعلتهم خزنة علمك، وحفظة دينك، وخلفاءك في أرضك، وحججك على عبادك، وطهرتهم من الرجس والدنس تطهيراً بارادتك، وجعلتهم الوسيلة اليك، والمسلك الى جنتك» الصحيفة السجادية الكاملة . من دعائه يوم عرفة.

المثال الثاني: «ومقرب اليك بنبيك عليه السلام أحب خلقك اليك، وأكرمهم لديك، وأولاهم بك، واطوعهم لك، واعظمهم منك منزلة، وعندك مكاناً، ويعترته صلى الله عليهم الهداة المهديين الذين افترضت طاعتهم، وامرت بمودتهم.. وجعلتهم ولاه امرك بعد نبيك عليه السلام.. اسألك بحق نبيك محمد عليه السلام، واتوسل اليك بالائمة الذين اخترتهم لسرك... واخترتهم بملكك، وطهرتهم، واخلصتهم، واصطفيتهم، واصفيتهم، وجعلتهم هداة مهدين، واثمتهم على وحيك، وعصمتهم عن معاصيك ورؤسيتهم لخلقك، وخصصتهم لملكك، واجتبيتهم، وجوبتهم، وجعلتهم حججاً على خلقك، وامرت بطاعتهم على من برأت **«بمعنى خلقت»** (الكشمي، المصباح، فصل فيما يعمل في ذي الحجة).

وللإمام زين العابدين ادعية اخرى كثيرة في هذا المضمار تكشف عن الجهاز القيادي الذي ينبغي ان يكون على رأس الامة الاسلامية ويقود الساحة.

٥- مواجهة الظالمين وفضح مؤامراتهم: لقد اختار الإمام زين العابدين عليه السلام شهر رمضان للدعاء على الظالمين، فكان يجمع بين التهجيد والاثابة الى الله، وبين التصدي والمقاومة، وبين